



قوس قزح من الألوان الأكاديمية: نحو تبادل ثقافيٍ مثرٍ

ورشة العمل التحضيرية والمدرسة الصيفية التجريبية للدراسات العربية،
برلين (١٢-١٧ آذار/مارس ٢٠١٤)

بقلم باسيلوس بواردي

مدخل

تحت رعاية جامعة برلين الحرّة في برلين وجامعة القاهرة والجامعة الأميركية في بيروت، عُقدت في برلين بجامعة برلين الحرّة، وفي ١٢-١٧ مارس ٢٠١٤، ورشة عمل تحضيرية ومدرسة صيفية تجريبية تهدف إلى طرح مبادرة لمنهجية جديدة في مجالات تدريس وبحث الدراسات العربية. وقد أشرف على تنظيم هذه الورشة كلّ من البروفيسور أنجليكا نوفييرث والبروفيسور باربارا فينكلير والسيد كريستيان يونج (طالب دكتوراة في سمينار الدراسات السامية والعربية في جامعة برلين الحرّة في برلين). وشارك في تنظيم اللقاء أيضًا كلّ من البروفيسور سامي سليمان والدكتور ناصر الموافي وكلاهما من جامعة القاهرة، والدكتور بلال الأرفه لي من الجامعة الأميركية في بيروت. وتمّ تمويل هذا اللقاء بدعم مؤسسة Stiftung Volkswagen الألمانية. ويُستشفّ من النشرة الإعلامية للورشة أنها تهدف إلى إجراء لقاء أكاديمي علمي بين باحثين أساتذة وشبيبة من العالم العربي والغربي. يهدف هذا اللقاء إلى العمل معًا وتبادل الخبرات العلمية والأكاديمية. عملياً، يصبح اللقاء من هذا المنظار محاولة ريادية للتغيير الجذري في مجال الدراسات العربية؛ تغيير يستند إلى إلغاء وجهات النظر النمطية المسبقة، عربية كانت أم غربية. ويشكّل هذا اللقاء، في رأيي، دفيئة علمية خصبة لرؤية الآخر الباحث أو الفرد، العربي أو الغربي من منظور الأنا بشكلٍ سليم، ملغية بذلك النظرة المفارقة، الاستعلانية أو الدونية.

وقد عقدت الورشة تحت شعار "نحو دراسات عربية بروى متعدّدة" "Arabische Philologien im Blickwechsel"، وهو شعار يحمل في داخله الرؤى المغايرة للراهن الأكاديمي للدراسات العربية. ومن الضروريّ بمقام توضيح مصطلح (Blickwechsel) بالألمانية لما يحويه من أهميّة قصوى في فهم هذه الرؤى المغايرة. يحمل (Blickwechsel) معنًى مزدوجاً؛ معنى "تبادل اللّمحات" كما يحصل في الحوار المتعدّد الثقافات، ومعنى "التغيير في وجهات النظر" كما يحصل في التحوّل في وجهات النظر في الأبحاث المتعدّدة المجالات أو التخصصات (Interdisciplinary)^١ وفي المعنيتين تكمن ماهية هذه الورشة في رأيي، إذ

^١ Mary Snell-Hornby. 2006. *The Turns of Translation Studies: New Paradigms Or Shifting Viewpoints?*. Amsterdam: John Benjamins Publishing, p. 2.

تهدف إلى تبادل معرفي وحوار ثقافي ومحاولة لتغيير وجهات النظر من خلال حوارية المثيل المتوازي. وكان من الحريّ تبيان هذين المعنيين في الترجمة إلى اللغة العربية في نشرة الورشة الإعلامية.

مبنى الورشة وسيرورة العمل

القسم الأول: المقاربات النظرية

شكّلت المقاربات النظرية للباحثين الأساتذة مظلة علمية مهمة مهّدت لعرض الوضع العلميّ البحثي للدراسات العربية في العالم العربيّ والغربيّ.

وبنظرة سريعة إلى ما احتوته هذه المقاربات يمكن الإجمال بأنّها مقاربات تطرح في مضمونها، بأغلبها، الحاجة الملحة إلى إعادة الحفر العلميّ الجريء في مواقع ملغومة اجتماعياً، وثقافياً، وعقائدياً، ودينيّاً وسياسياً تخصّ المجتمع العربيّ والإسلاميّ وثقافته. وتخصّ كذلك علاقاته بذاته وبالآخر. وهي في أغلبها أيضاً تبحث في التقاطعات الثقافية التي تتشكّل منها الثقافة العربية القديمة والحديثة مع المجالات البحثية والعلمية التي تقع خارج حدود الأدب العربيّ، كعلم الاجتماع أو العلوم السياسية أو الفلسفة أو حتى العلوم الدقيقة. وأقصد بتلك التقاطعات اللجوء إلى المجالات المتعدّدة الجهات في البحث العلميّ والثقافيّ وفهمها وفق رؤى عميقة تكشف عن النواحي الأفضل تركيباً للثقافة العربية والإسلامية على حدّ سواء. إنّ دراسة الأدب العربيّ والثقافة العربية الإسلامية، كما نفهمها من المقاربات المذكورة، لا يمكنها أن تكشف عن أعماق الكينونة العربية، لغة وثقافة، طالما بقيت هذه الدراسة محصورة ضمن فردانية اللغة وثقافتها. من هنا تدعو هذه المقاربات إلى تخطّي حدود الدراسات العربية التقليدية التي تحصر التأمل بالذات العربية الفردية والتركيبية العربية والإسلامية الجمعية داخل أسوار "الاكتفاء الذاتي" الضيق، إذا صحّ التعبير. على الإجمال، شكّلت هذه المقاربات في نظري حلقة وصل مهمة للباحثين الشبيبة في بلورة مفاهيم علمية وبحثية حديثة تخصّ الدراسات العربية المعاصرة. على أنّه من المهم في هذا السياق الإشارة إلى أنّه كان من المفيد بمكان أن تحتوي المقاربات النظرية للأساتذة على توجيه في مجال منهجية الأبحاث المقدّمة. إنّ هذا اللقاء يهدف في ما يهدف إلى إرشاد الباحثين/ات الشبيبة والطلبة في الدراسات المتقدّمة إلى منهجية البحث وعملية البناء العمليّ. إنّ منصّة المقاربات النظرية كانت الأفضل في رأيي لتدمج بين النظرية ومنهج العمل العلميّ المتبع. وهو أمر لم يتمّ الالتفات إليه بما يكفي.

القسم الثاني والثالث: نقاش حول مفهوم برنامج المدرسة الصيفية وافتتاح المدرسة الصيفية

يوم الجمعة ٣/١٤ وعقب المقاربات النظرية للباحثات والباحثين الأساتذة، تمّت مناقشة مفهوم المدرسة الصيفية بوجه عامّ، بحيث بحثت فيه مع جميع المشاركين إمكانات العمل وأساليب الاجتماعات واقتراحات لتحسين الأداء، وكذلك تمّت مناقشة الجوانب الرئيسية لبرنامج المدرسة الصيفية، الموضوعات والنصوص واللغات والترجمة والمقترحات حول مكان انعقادها.

تلا هذا النقاش في يوم السبت ٣/١٥ افتتاح المدرسة الصيفية لهذا الموسم. إشتراك الباحثون/ات الشبيبة مع الباحثين/ات الأساتذة في مجموعات عمل مشتركة. وقام كلّ من الباحثين/ات الشبيبة بعرض بحثه العلميّ بوجه مستفيض لتعقب العرض تعقيبات علمية للباحثين/ات الأساتذة ونقاش حول الموضوع، منهجية البحث والمراجع العلمية.

من خلال المحاضرات والدراسات التي يبحث فيها الباحثون/ات الشبيبة يمكن الإشارة إلى أنّ الدراسات العربيّة في بعض مواقعها تخرج من الدوغماتيّة المؤطّرة والمحدودة، وهي إذ تؤكّد خصوصيّة اللغة وفردانيّتها تؤكّد في الوقت نفسه ضرورة تطوير حوار دوليّ ومتعدّد الثقافات. تمثّل مشاركة الباحثين الشبّان والشابات، في رأيي، في هذا اللقاء أحد أهمّ جوانب طلائعيّته. إنّ الموضوعات المختلفة التي تمّ طرحها في المجموعات المشتركة هي بمثابة عيّنة مصغّرة عن مستقبل البحث العلميّ للدراسات العربيّة في العالم العربيّ والغربيّ. ومن أهميّة هذه المشاركة أنّها تكشف الباحثين/ات الأساتذة والشبيبة على تنوّع الأبحاث العلميّة وأساليب البحث الأكاديميّة الراهنة وتثير نقاشات علميّة لم تكن لتثار لولا هذا التعدّد الغنيّ للدراسات المطروحة.

القسم الرابع: دراسة حالة: "ثقافة الغموض" لتوماس باور و"التمثّل الثقافيّ وتلقّي الأنواع الأدبيّة الحديثة" لسامي سليمان

يمكن أن يشكّل هذا القسم ورشةً أكاديميّة مستقلّة ومتكاملة. إذ شارك كلّ المشاركين في نقاش مطوّل حول الموضوعين المذكورين، وتمّت مناقشتها من زوايا علميّة متنوّعة أضفت على النقاش حيويّة وغنى. وعلى الرغم من أهميّة هذا القسم في الورشة إلّا أنّني كنتُ أفضلُ حصره في يوم واحد واستغلال اليوم الآخر لتوسيع النقاش حول أبحاث الباحثين/ات الشبيبة. يمكن في هذه الحالة أن تفرد جلسات أوسع للمشاركين وتتناول جوانب إضافيّة لم يسمح ضيق الوقت بتناولها. جلسات الحوار مع المشاركين في المدرسة الصيفيّة هي في رأيي بؤرة هذا اللقاء الأكاديميّ الدوليّ الهامّ. هذه الجلسات تخرج من حقل التنظير إلى حقل التّدخل الفعّال، أو الاستشارة السريعة أو الومضات الأكاديميّة الموضّحة لمسار لم يؤخذ بالحسبان.

وتلخيصًا لما جاء يمكن القول إنّ هذه الورشة الدوليّة كانت بمثابة قوس قرح من الألوان الأكاديميّة المتنوّعة. يحافظ كلّ لون منها على خصوصيّة وفرداته ولكنّها جميعًا تكوّن مزيجًا رائعًا ينعكس كلّ لون فيه بخصوصيّة على باقي الألوان. إنّ هذه اللوحة الأكاديميّة التي عشناها في أجواء هذه الورشة الدافئة تمنح الأمل بتواصل بناء بين المناهج الأكاديميّة المتعدّدة، العربيّ منها أو الغربيّ وتنبئ بجيل شابّ واعد من الباحثين/ات الدؤوبين/ات.